

رواية الإعصار والمئذنة

للدكتور عماد الدين خليل

بقلم / حيدر قفّنه

استطلاع الدكتور عماد الدين خليل أن يسجل في روايته «الإعصار والمئذنة» الأحداث المؤسفة التي صاحبت ثورة عبد الوهاب الشواف على طاغية العراق «عبد الكريم قاسم» عندما استخدم الشيوعيين، وأطلق لهم العنان، ليعيثوا فساداً في طول البلاد وعرضها، معتمداً أسلوب ضرب هؤلاء بأولئك، وأولئك بهؤلاء، حتى يُثخن الأطراف كلها، ويبقى متربعا على سدة الحكم.

وملخص أحداث الرواية، أن الزعيم عبد الكريم قاسم طغى وبغى وضرب التيارات المعارضة بعضها ببعض ليضعف الجميع وينفرد بالحكم.



غلاف الرواية

الشيوعيون لاستباحة المدينة، وانتهاك الأعراض، وسحل الناس في الشوارع، وتعليق جثثهم على أعمدة الكهرباء، في صورة تشمئز منها نفوس القردة والخنازير. هذه أحداث الرواية بصورة مجملية، وإلا كيف لنا أن نأتي على ٢١٦ صفحة - هي حجم الرواية - وضع فيها الدكتور خليل عصارة قلبه، وقد اختلط كل سطر فيها بأنفاسه، وربما دموعه أيضاً، وهو يسجل ما حل بمدينته التي أحبها لدرجة العشق؟!

البنية السردية:

استخدم الدكتور عماد في تسجيل أحداث الرواية ضمير الغائب، وهذا الاستخدام منحه قدراً من الحرية، إذ يكون الكاتب في منزلة الواصف المحلل الجوال على كل شخوص عمله الفني الذي يبدعه، وهذه الحرية مكنته من

ولما استشرى فساد، وطال دين الناس وأعراضهم وأموالهم، استنكر ذلك ثلة من الأحرار في الجيش، في مدينة عُرف أهلها بالصلاح والتقوى، فقام العقيد عبد الوهاب الشواف مع رفاقه في السلاح، بإعلان التمرد على الطاغية في بغداد، ووقف الشرفاء من أهل الموصل يساندونه ويعاضدون الشواف وضباطه وجنوده، وكانت المناصرة من جميع فئات الشعب في الموصل، ما عدا القلة التي تتسم بالتفاق، واستغلال المواقف لتحقيق مكاسب شخصية.

ويدفع عبد الكريم قاسم بالشيوعيين من جميع أطراف العراق باتجاه الموصل لمناصرة الشيوعيين هناك، في حركة سماها «أنصار السلام»، وفي الوقت نفسه يستخدم الطيران والجيش لضرب الشواف وإحباط حركته، ويتحقق للطاغية ما أراد وتسحق الحركة، ويخرج

عبد السلام رجل الموصل وعالمها وخطيبها المقوه ، حنا جرجيس النصراني ، ويونس سعيد الشيوعي .

وشخص ثانونية ، جيء بها لتكملة العمل الفني ، ودورها هامشي ، وهي : شيث الموصل صاحب جريدة الأنوار ، حازم صبري صاحب السيارة الذي أوصل الشيخ هاشم عبد السلام من بيته إلى المعسكر ، وذو النون الدباغ والد عاصم الرجل الثري الذي خلف ثروة لابنه ، وعبد الله الجزار زعيم الشيوعيين في الموصل .

هذا من ناحية أهمية الأدوار التي أسندت لهذه الشخصيات ، وحضورها على امتداد الرواية . أما الشواف فلم يرد إلا بالاسم وليس له دور واضح في الرواية ، وكذلك عبد الكريم قاسم في بغداد ، وكان المؤلف يكتفي بالإشارة إليهما عندما يستدعي الأمر ، رغم مكانتهما القيادية في الأحداث .

أما من ناحية التركيبة النفسية والاجتماعية ، فتنقسم الرواية إلى قسمين :

القسم الأول : شخصيات سوية ، محددة المعالم ، تعرف طريقها ، واضحة الرؤى والتصور .

القسم الثاني : شخصيات غير سوية ، مريضة ، تنضخ تصرفاتها العربية الشاذة بأمراض نفسية مستكنة في الأعماق .

وفي القسم الأول ، يلقاك :

• عبد الرحمن الشيخ داود ، والد سلمى ، وصهر عاصم الدباغ خطيب سلمى ، وهو رجل كبير السن ، متقاعد ، على دين وخلق ، يحب الخير للناس ، هادي ، متزن ، وكفالية الرجال في المجتمع العربي ومن هم على شاكلته ، يصوم رمضان ، له مسبحة التي يعتز بها ، يستمع للقرآن من المذياع ، يصلي الجمعة خلف خطيب جيد يحبه ، يذكر الله ويستغفره ، يهتم بأمر المسلمين ،

التعامل مع جميع شخصيات الرواية بدرجة واحدة . ومع أن هذا الأسلوب يحد من قدرته على الغوص في أعماق شخصية ما ، ونقل مشاعرها المكبوتة ، ومعاناتها من الداخل ، فإن الدكتور عماد استطاع بفنية عالية القفز على هذه السلبية ، فنقل التفاعلات النفسية لشخصيات الرواية - والتي انعكست على تصرفاتها - فمكّن القاريء من التفاعل معه ، وهذا اقتدار يُغبط عليه .

استخدم الدكتور عماد أيضاً السرد المتنامي نحو الحبكة الكبرى ، وهو ذروة الأحداث ، ولم يلجأ إلى : أسلوب الرجوع إلى الخلف ، أو ما يسمونه بالأجنبية « الفلاش باك » فكان ذلك أقدر على جذب القاريء ، وإعطائه اليسر والسهولة في الوصول إلى الإشباع الفني ، بعيداً عن التقاطع المشتت للمتعة أحياناً .

واستخدم ثالثاً أسلوب الوصف المرحلي لجزئية ما من خلال شخصية معينة ، فيكاد كل فصل من فصول الرواية الخمسة والعشرين أن يستقل بالحديث عن شخصية ما ، مع نوع من العلاقات المتشابكة مع شخصيات أخرى في الرواية ، حتى ليبدو كل فصل مستقلاً عن الآخر - في النظرة العجلى - ، لكن المدقق يدرك ارتباط هذه الفصول وتسلسلها المنطقي في الأحداث نفسها ، حتى إذا ما قاربت الرواية على حبكة الرئيسية - العقدة أو الذروة - جمع الدكتور عماد هذه الخيوط كلها ، وجر شخصياتها كلها إلى معمعة الفعل في بؤرة الحبكة التي تمثلها أحداث يوم الأحد ٨ آذار (مارس) يوم إعلان الثورة وما تلاه من أحداث جسام .

شخصيات الرواية :

أما شخصيات الرواية فتنقسم من ناحية الأهمية إلى قسمين : شخصيات رئيسية ، وهي : عبد الرحمن الشيخ داود ، وسلمى ابنته ، وعاصم الدباغ خطيبها ، وهاشم

هذه المجموعة التي كانت في الأرض

فساداً تحت شعار « أنصار السلام »

في التخطيط لعملية المجابهة مع الشيوعيين « أنصار السلام ». يقتله الشيوعيون بعد القضاء على حركة الشواف مباشرة ، في زحمة الأحداث وهيجان الغوغاء ، بعد محاكمة صورية فورية التنفيذ .

ومن القسم الثاني يلقاك :

• عاصم الدباغ ، ابن ذي النون الدباغ ، الرجل الثري الذي خلف ثروة طائلة لأسرته وعلى رأسها عاصم ، وعاصم هذا شخصية مهزوزة ، متعثر في دراسته ، مرفه ، مدلل ، ضعيف أمام الأحداث ، يظن أنه يستطيع أن يشتري كل شيء بماله ، حريص على الحياة ، ليس له موقف محدد ، إلا أنه يؤثر السلامة في كل شيء ، ولو كان ذلك على حساب دينه ومدينته ووطنه ، لا يصوم بدعوى المرض ومنع الأطباء له ، ولا يصلي ، يحب سلمى كثيراً ، لكنه لا يتوافق معها ، يتمنى لو يصبح مثلها ذا شخصية واضحة ، لكنه يعجز عن ذلك ، يشعر باحتقار سلمى له ، يحاول التأثير عليها وعلى أبيها للهرب إلى بغداد حتى تهدأ العاصفة ، ترفض ، وتندى منزلته عندها . يرى المظاهرات ضد الشيوعيين والطاغية ، فيتمنى لو يسير معهم ، لكنه يجبن عندما يسمع الهتافات ضد الزعيم في بغداد ، يخاف على سيارته من المتظاهرين ، فهي سيارة أمريكية فاخرة قل نظيرها في الموصل ، يدرك خطر الشيوعيين عليه وعلى ثروته ، ولكنه سلبى لا يفعل شيئاً ويرعبه تهديد زميله السابق في المرحلة الابتدائية « يونس سعيد » الشيوعي عندما لمح له أنه سينتقم من خطيبته سلمى إذا لم يشترك معهم في تظاهريهم ضد الشواف ، يظل موقفه متميماً حتى آخر الرواية .

• حنا جرجيس ، نصراني ، ينضم إلى حركة « أنصار

وأمر بلده الموصل ، يدعو الله أن تنتصر انتفاضة الشواف ، لأنه رأى بحسه المرهف خطورة الطاغية في بغداد ، والجماعة التي أرخى لها الحبل على غاربه لتعيث في البلاد فساداً تحت اسم « أنصار السلام » يلطف الجو في الخلافات المبدئية بين ابنته سلمى وخطيبها عاصم ، يقتله الغوغاء من الشيوعيين وأنصار الجمهورية ، بعد سحق محاولة الشواف .

• أما سلمى ، فهي ابنته البكر العذراء الكعاب ، في ريعان الشباب ، وتفتح الحياة ، شخصية سوية ، تعرف طريقها بوضوح تام ، متدينة ، على خلق ، ذات مبدأ تدافع عنه ، محبة لمدينتها ، وللناس ، تكره الطاغية في بغداد ، تكره أعماله التي تؤدي إلى خراب البلاد ، تحرص على الصلاة مع والدها في المسجد لسماع خطبة الشيخ هاشم عبد السلام ، على خلاف مستمر مع خطيبها بسبب اختلاف النظرة للحياة ، يحبها عاصم حباً جماً ، لكنها ترضى به رضى لا يبلغ حد الحب أو حد الكمال ، لكنه رضا الفتاة العربية المهدبة ، وإن كانت لا توافقه على كثير من تصرفاته ، ولا مطمئنة لشخصيته ولا لظروحاته ، يقتلها الشيوعيون ويسحلونها في الشوارع ، ويعلقون جسدها المهترىء من أسفلت الشوارع على عامود الكهرباء في صورة بشعة .

• هاشم عبد السلام ، شيخ من شيوخ الموصل ، بل هو عالمها ورجلها ، خطيب مسجد الشيخ عجيل ، وهو شيخ واع متفتح ، ليس الدين عنده محصوراً في زوايا المساجد ، لكنه متفاعل مع الحياة يحبه الناس ، ويحرصون على سماع خطبه ، يأخذون منها العلم والزراد الروحي والدفعات الحماسية وجرعات الصبر التي تثبتهم على الطريق ، والمعلومات السياسية التي تفتح أذهانهم على آفاق الحياة ، له صلة بالشواف وقياديه ، يشاركونهم

فَتَجِدُ كَذَلِكَ شَرْعًا مِمَّا رَفَعْنَا عَنْكَ فِي الْأَيَّامِ الْأُولَىٰ أَن يُذَكَّرَ بِهَا وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

بنفسه ، لكنه بحركة خسيصة يظاً بحذائه القدر المتلطح
وجه ولحية هاشم عبد السلام ، في حركة مسرحية تدل
على تفاهته وضعته .

• يونس سعيد عتّالة ، زميل عاصم الدباغ في الدراسة ، لا سيما المرحلة الابتدائية ، مثله في التعثر الدراسي وعدم الاستيعاب ، لكنه يختلف عنه في أنه كان فقيراً ، الحياة فرقت بينهما ، عاصم ورث أباه الغني ، ويونس سعيد بقي يتصعلك حتى استقر به المقام في الحزب الشيوعي . حياته كلها انعكاسات لعقد نفسية متراكمة ، فهو فقير يحقد على الأغنياء ، متعثر في دراسته ، يحقد على المتفوقين ، دميم الوجه ، قميء الجسد يحقد على أصحاب الوسامة ، وضعي الأصل يحقد على أصحاب العائلات تجمعت هذه الصفات كلها لتجعله غير مرغوب فيه ، حتى أن كثيراً من الأسر رفضته عندما تقدم لخطبة بناتها ، فحمل حقه الأسود على كل عائلة رفضته ، وكل بنت تمنّاها فلم ينلها - لكنني كنت أتمنى على الدكتور عماد لو أنه لم يقصر سبب الرفض على صفاته تلك ، وأبرز صفته كشيوعي ملحد تأباه الأسر المؤمنة زوجاً لإحدى بناتها المؤمنات ، لا سيما والأمر حرام شرعاً ، وأهل الموصل - في غالبيتهم وكما أظهرت مواقفهم ثورة الشواف - كانوا متدينين ، فكان الواجب إبراز هذه الناحية - . على كلّ ، فقد أورثته هذه الأمور حقداً أسود على كل الناس ، حتى على زميله السابق في الدراسة عاصم الدباغ ، فقد نفسه على غناه ، ورفاهية عيشه ، وخطوته بخطبة سلمى ، فدعاه للمشاركة في التظاهرة ضد الشواف ، ونصرة للزعيم الطاغية ، فلما رفض عاصم - لتردده وجبنه وإشاره السلامة - هده في خطيبته سلمى ، وأشار إلى أنه نُقل إليه خبر صلاتها الجمعة مع أبيها في مسجد عجيل ، خلف الشيخ هاشم

السلام» الشيوعية ، يحضر اجتماعاتها ، ويخطط معهم للقضاء على ثورة الشواف ، ويستضيف قيادتهم في دير «ماركوريس» للتأمر على الموصل وأهلها نصرة للطاغية في بغداد ، ولكن الحقيقة أنه يعمل لدينه وناسه وإن تستر خلف الشيوعيين ، لأنهم المطية التي ستوصله إلى أغراضه . عندما يعتقل قبل الثورة بيوم أو يومين تظهر شخصيته المترددة ، حيث الندم على مشاركته « أنصار السلام » ، كان يقلقه توقعه للإعدام بين أنصار الشواف ، سواء انتصر الشواف أو لم ينتصر ، فقد يعجل بقتله في حالة الانهزام كنوع من الانتقام قبل أن تدور الدائرة عليه - فيما يحسب ، ينجو من السجن بعد سحق جماعة الشواف ، فيخرجه الغوغاء من أنصار السلام من سجنه ، فيخرج ، ولكنه لا يشارك في المسيرة القورية الهائجة التي يقودها « يونس سعيد » للانتقام من أعداء الجمهورية والزعيم في بغداد ، لا سيما عبد الرحمن الشيخ داود ، وابنته سلمى ، والشيخ هاشم عبد السلام ، ومن على شاكلتهم من شرفاء الموصل ، ويفضل العودة إلى بيته أولاً ، يشعر بالندم لأنه لم يشارك في المسيرة الحاقدة ، ويحاول في اليوم التالي أن يستدرك ما فاتته ، حتى يحسب أنه موقفه هذا ، فيأخذ مسدسه « غدارته العتيقة » ويلوح بها في الفضاء لتسجيل موقف ، ويذهب إلى المخفر حيث تجمع الناس في محكمة هزلية لمحاكمة من سموهم أعداء الجمهورية ، ويزاحم الجموع في حركة تظهره أنه من القيايين ، فيسمع طلقات من الداخل ، يتيقن أنها استقرت في جسد خصمه اللدود الشيخ هاشم عبد السلام ، يصيح حسرة على أنه لم يدركه حياً حتى يقتله

عبد السلام محرض الناس ضد الشيوعيين والجمهورية .
وقد وصف الدكتور عماد الدين خليل يونس سعيد
هذا بأنه « ضيق الجبهة » كثير العرق ، يجمعه عن جبهته
الضيقة بسببته ليلقي به أرضاً ، وهذه الأوصاف ترمز إلى
صفات شخصيته النفسية أيضاً ، فضيق الجبهة رمز لقلّة
العقل ، وضيق الأفق ، حيث لا يرى إلا نفسه ، ولا
مكان للآخر في الحياة إن كان موجوداً ، وهذا لمستاه في
آخر الرواية ، عندما خرج من المعتقل سريعاً ليقود مظاهرة
تحطم الأخضر واليابس في الموصل ، وتريق الدماء ،
وتسحل الأجساد ، وتبيد العباد . والعرق النازف منه
بكثرة ، رمز للحقد الطافح من قلبه على الناس جميعاً ،
كما هي التربية الشيوعية لكوادرها في تأليبها الطبقات
الاجتماعية على بعضها البعض ، مستغلة بؤر العفن في
حياة الناس ، وبحركة تثير الاشتمزاز يلقي بهذا العرق -
وهنا ربط معنوي بين العرق الكريه الرائحة ، والحقد
الكريه الأثر على صاحبه وعلى الناس - لا على الأرض
وحدها ، ولكن على جثث القتلى بعد سحلهم كما حدث
مع جثة سلمى [ص ١٩١] ولا يشبع حقه إلا تعرية
الأجساد بلا تفرقة بين ذكر وأنثى - وتعليقها على أعمدة
الكهرباء !!

ويستمر حقه الأسود حتى يشكل محكمة هزلية ، هو
رئيسها ، وثلة من الغوغاء أعضاؤها ، فيحاكم بحقد أزلي
الشرفاء من أهل الموصل ، ويحكم عليهم بالموت والتنفيذ
الفوري ، وكان من أوائلهم الشيخ هاشم عبد السلام .
هذه هي شخوص الرواية الرئيسية ، التي استطاع
الدكتور عماد الدين خليل أن يجسد الأحداث من
خلالها .

البعد الزمني :

والبعد الزمني في الرواية لا يتمثل في تاريخ أصم ذي

حروف قاطعة كحد السيف (٨ آذار) وهو يوم الثورة ،
ولكنه بعد زماني يخترق حواجز الأرقام إلى التناغم
النفسي مع الأيام بما توحيه من تفاعل مع الأحداث
والناس .

فزمن الرواية شهر آذار (مارس) ، وما آذار في
الموصل؟! إنه « شهر الربيع الذي يطل على الناس ،
وتخترقه بين الحين والحين دوامات من البرد الشديد ،
يرغم الناس على التشبث بتقاليدهم الشتوية ريثما يتعزز
الدفء ، وتهب الرياح الجليدية التي تصفع المدينة في
عصاريها قادمة من الشمال الغربي ، مغسولة بالثلج والبرد
ص ١٢ - ١٣ » إنه الشهر الذي تستقبله الأرض بربيع سخّي
« فرغم أن آذار يحبو في أيامه الأولى ، إلا أنه العشب
المغسول كان قد ارتفع بما فيه الكفاية ، وكانت تدغغه هنا
وهناك أزهار الموصل البرية ص ٢٤ » « صبيحة الثامن من
آذار المحطة الأولى لقطار الربيع الذاهب إلى النهايات
القصية لكي يبت الشذى العبق ، ويوزع على أطراف
المدينة الحلوة مجاناً باقات الورد والرياحين ص ١٤٠ »
ويمضي الدكتور عماد الدين يتحدث عن ربيع الموصل
حديث المدنف الواله ، الذي سحره هذا الجمال ، وتلبس
به الزمن الوردي لأمل باسم يوشك أن يولد في سماء
الموصل .

والبعد الزمني أيضاً يتمثل في شهر رمضان ، الذي
وافق شهر آذار إبانة أحداث الرواية ، ولرمضان في
الموصل خصوصية ، فهو شهر الصيام (والقيام) ، شهر
الرحمة والتزاور ، شهر الاستغفار وقراءة القرآن ، شهر
البحث عن مساجد معينة ، وأئمة لهم قدر ومحبة ،
وخطباء مخلصين في توجههم إلى الله .

ونلاحظ أن البعد الزمني بشقيه (آذار - رمضان)
أعطى الرواية جواً متوافقاً مع الأحداث .

فالربيع بأزهاره ووروده ونسماته يوحى بالأمل الذي يعلقه الناس على ثورة الشواف .

ورمضان شهر التضحية بالطعام والشراب - وهما أهم الأشياء في حياة المرء - من أجل جنة عرضها السماوات والأرض ، وهنا إحياء بأن الثورة القادمة تحتاج إلى التضحية لمقاومة الطغيان ، والذب عن دين الله ، في مواجهة الملحدّين .

البعد المكاني :

مكان الرواية مدينة الموصل ، ولم يرد ذكر لسواها ، لأنها مقر الطاغية .

والموصل بالنسبة للدكتور عماد الدين خليل الهوى والغرام ، والعشق والهيام ، فقد أبرز لنا الموصل إبراز لا مزيد عليه ، وتحدث عنه بصورة جعلتنا - وإخالها تجعل كل قارئ - يحب الموصل ، وتتوق نفسه لزيارتها .

تحدث عن مساء الموصل بتفرده وتميزه ، وعن شتاء الموصل الذي يحاصر الناس ببرده والذي ينخر في العظام ، وأمطاره ، وعن ربيع الموصل الجميل ببساطه الأخضر الذي يمدّه على مساحات واسعة من الأرض ، وأزهاره ووروده كثيرة الأسماء ، متنوعة الأشكال والصفات ، منها النفل ذو الألوان البيضاء والصفراء الأرجوانية ذات العطر الشدي ، والصفير الذي آل على نفسه ألا يدع الحنطة تنمو وحدها ، وحليب البزون الأبيض الكثيف ، والبيسون الذي تكاد تنفرد به براري المدينة ، والذي لا يكف عن بث رائحته الهادئة العذبة ، وما من علة إلا ويكاد يكون دواؤها البيسون المغلي بالماء مسد ٢٤ ، وشقائق النعمان المحمولة على سوقها النخيفة مسد ٢٥ والنجس برائحته الهادئة الحلوة ، والقرنفل والعطر ، والشيخ الأصفر الذي لا يكف عن التسلل كل مساء عبر النوافذ والشرفات لكي ينشر عبقة في كل حنية

وعلى كل سرير ص ١٤٩ ، وأشجار الموصل كالصنوبر ، والحر ، والسرو ، والسديان ، وغيرها ص ٥٢ ، وطيور الموصل التي تستوطنها ، أو تمر بها في رحلات الهجرة ومواسمها في أسراب وجماعات متناسقة متناغمة ص ١٥٢ .

أما أنهار الموصل فحسبك منها دجلة ، وما دجلة ؟ إنها حاملة أشواق الجبال ، مغازلة أطراف المدينة ، ولم ينس المؤلف جبال الموصل وتلالها ، فالجبال حيث الثلج الذي يمد دجلة بالمياه ، وتل الذهب الذي تنعكس عليه أشعة الشمس الغاربة ، فتحيل صخوره في نظر مشاهديه ذهباً ، يرتحل إلى تل الذهب أهل الموصل في العصارى الدافئة للتمتع بأزهاره ص ٢٥ .

أما شوارع الموصل فكثيرة ، منها شوارع رئيسية وأخرى فرعية ، فينقلها لك المؤلف بتوصيف دقيق حتى يخيل إليك أنك تراها رأى العين ، والشوارع تفضي بنا إلى دورات كبيرة لتقاطع الطرق والشوارع ، وهي دورات متعددة ذوات أسماء ، ووصفه لها لا يقل في دقته وتفصيله عن وصف الشوارع .

وتناول المؤلف أزقة الموصل القديمة ، حيث تمثل شرايين ضيقة ، أشبه بممرات لا تتسع لأكثر من شخص أو اثنين ، وحيث تميل الجدران معلقة بالمرمر الأزرق الجميل على بعضها ، وكأنها تتحدث إلى بعضها البعض في همس ووداد ص ٥١ .

والأزقة تؤدي إلى الدور والمنازل ، ودور الموصل تعد آية في قدرة البناء الموصل على اعتماد الممرم الأزرق ، واللعب والتفنن على واجهاته ص ٥١ حيث الزخرفة المتقنة ، والنوافذ الصماء ، والأعمدة الأسطوانية ، والتشكيلات الجمالية التي تستهوي العيون ، وتستجيب لأشواقها ص ٥١ .

المكان عند المؤلف له خصوصيته وتفرده ومفرداته المعروفة جيداً

واستباحوا نساءها ورجالها بصورة بشعة .

البناء اللغوي :

واللغة - كما يقولون - الوعاء الذي يحمل الأفكار والصور ويتفاعل معها أيضاً ، فإذا كان الوعاء نظيفاً جيداً ومتيناً ، انعكس ذلك على ما بداخله . ولغة الدكتور عماد الدين لغة جيدة راقية ، لغة حساسة مرهفة موحية ، فهي فرحة مع الفرح والأمل ، وحزينة كثيبة مع موجعات القلب .

فمن الصور الجميلة التي استوقفتني قوله يصف جلسات النساء المرتحلات مع أولادهن إلى تل الذهب : « النساء يأكلن ويشترثن ويضحكن ، ويدارين الشاي كيلا تستفزه النار فيغضب ويفور ويقذف بمرارته ص ٢٥ » .

وقوله يصف الأزهار بعد مقتل الشواف وحال الرعب التي سيطرت على أهل الموصل تحسب لما سيفعله الشيوعيون : « كانت ثمة باقة من شقائق النعمان التي تقطر حمرة - مشاكلة للدم المتوقع - وتتلوى - مشاكلة للعذاب .

والتعذيب القادم - سوقها بدلال ، تنتشر قريباً من حافة الشارع ، ويبدو أن عجلة ما ، عجلة عسكرية مسرعة قد انحرفت قليلاً عن الطريق الأسفلتي باتجاه الحافة ، فطوحت بالسوق والأوراق ، وها هي الآن تحاول أن تنهض مرة أخرى ، دون جدوى ، لقد تكسرت السوق بما فيه الكفاية ، وتبعثرت حراشيف الشقائق ذات الحافات السوداء ، فلم يعد بمقدورها أن تنهض مرة أخرى ص ١٦٤ - ١٦٥ » .

وجوامع الموصل ومساجدها كثيرة ، فهناك الجامع الكبير ص ٥٠ وهو قريب من بيت الشيخ هاشم عبد السلام ، رجل الموصل وعالمها وخطيبها ، والجامع النوري الكبير ص ٥٣ القريب من شارع نينوي ، وذو المنارة الحدباء الشاهقة التي بناها نور الدين محمود قاهر الغزاة الصليبيين ص ٥٣ ، وجامع الشيخ عجيل الذي يقوم على بعد عدة مئات من الأمتار من منزل عبد الرحمن الشيخ داود والد سلمى ، والذي يخطب فيه الشيخ هاشم عبد السلام الذي يحبه مؤمنو الموصل ص ٣٦ .

وكما في الموصل مساجد وجوامع فيها أيضاً كنائس وأديرة ، فكنيسة الآباء الدومنيكان ، تقع وسط البلد ، ودير ماركوركييس في الجهة الشمالية الشرقية للمدينة على الضفة الأخرى من نهر دجلة ، حيث الروابي الجميلة ، وهو الدير الذي استضاف فيه حنا جرجيس دعاء حركة أنصار السلام للتخطيط لضرب حركة الشواف ، وكنيسة « قاصد الرسول » في محلة الرابية ، والتي عقد فيها اجتماع موسع لأعداء ثورة الشواف ، وللکید للإسلام والمسلمين بأمر المنظمة الشيوعية ، وشارك فيه أيضاً حنا جرجيس ص ٤٨ .

ولم ينس الدكتور عماد طعام لموصل ، لا سيما في شهر رمضان ، فهناك القرع الجبلي والشلغم ، وما ألدهما حينما يتشربان السماق ص ٢٠٠ ، وهناك حامض الكبة ص ١٩٩ ، وطبق الدولة ص ٢٠٠ ، والكبة ص ٢٠٠ ، وخبز الصمون ص ١٥٧ . وهي الذمما عرفت به الموصل ص ١٩٩ .

وهذه الرحلة الطويلة التي طوف بنا الدكتور عماد الدين خليل في الموصل أعطت الرواية بعداً مكانياً مميزاً ، أكسبها الحرارة الدافقة ، وجعلت القاريء يتصور مدى بشاعة الجريمة التي أقدم عليها الشيوعيون أنصار حركة السلام عندما استباحوا شوارعها ومبانيها وتلالها ،

اللغة لها شفافيتها وجمالها والرقي الملموس .. ولكن!

ولا أستطيع أن أستشهد بكل ما أعجبني واستوقفني لكثرتي ، ولأن ذلك يخرج بنا عن حدود هذه الدراسة ، لكنني أشير على القاريء الكريم أن ينظر في حالة الرعب التي سيطرت على عبد الرحمن الشيخ داود عند سماعه مظاهرة الشيوعيين قادمة نحو شارع ص ١٦٧ .

والصورة الأدبية الرائعة فنياً ، والموجعة إنسانياً ، وهو يصف صراع سلمى في مطبخ بيتها ، حيث قيد الشيوعيون المتظاهرون يديها بحبل خشن غليظ ، وجرت إلى الخارج ، وكيف تدرج رأسها على درجات المنزل حتى تمت أن تصل إلى الأسفلت في الشارع ، فهو أرحم من ضربات الدرج ، ، وكيف سحلت في الشارع بعدما فقدت الوعي ، وماتت بعدما اختلج جسدها ، وتمزقت ثيابها ، وبدا من جسدها ما حرم الله النظر إليه ، وكيف بصق عليها يونس سعيد ثم كيف علق جسدها على عامود الكهرباء ص ١٨٨ - ١٩٤ . ومثلها صورة قتل الشيخ هاشم عبد السلام ، وتفاعل الجسد مع الرصاصات التي استقرت فيه ص ٢١٤ - ٢١٥ .

ورغم هذه اللغة الراقية ، تبقى الحقيقة الأزلية التي تقطع بأن كل كتاب سوى القرآن الكريم - لا بد أن يعتريه ضعف أو خطأ ، بعد أن قال الله تعالى عن كتابه : ﴿ وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت : ٤٢] فكأنه حكم لا يتخلف أن كل كتاب - خلا القرآن - لا بد أن يجد الناس فيه ما يؤخذ عليه . ولنا مأخذ وملحوظات على لغة الرواية نسلسلها فيما يلي :

١ - استخدم الدكتور عماد الدين كلمات عراقية بحثة

قد لا يدركها إلا العراقي ، أو من عرف اللهجة العراقية ، بينما يستغلق فهمها على مثلي ، ومن كان أبعد عن العراق ، - كبلاد شمال أفريقيا - قد يعجز عن فهمها تماماً .

بعض هذه الكلمات قد تفهم من السياق العام ، دون التحديد الدقيق للدلول الكلمة ، مثل وصفه للنباتات البرية في العراق « الحبازي البري » الفجيلة ، خس الشياطين ، الحويك ص ٢٦ و « دشبول السيارة المتشقق ص ٥٨ » و « البوينة السوداء على الرأس ص ٧٠ » و « خبز الصمون ص ١٥٧ ، ص ١٥٨ ، ص ١٥٩ » و « حامض الكبة من الأكلات العراقية ص ١٩٩ » و « القرع الجبلي ص ٢٠٠ » .

وهناك أسماء غير معروفة لنا على الأقل ، مثل « الحلان » الذي تزين به المنازل ص ١٣ ، ص ٥٤ ، ص ٦٦ . وبعض الزهور والورود مثل : النغل الصغير ، حليب البزون ص ٢٤ ، ص ١٤٠ والبيون ص ٢٤ ومثلها الغافون الأبيض ص ١٦٣ ، الشلغم ص ٢٠٠ ، حنية ص ١٤٩ .

وليت - إذ أورد هذه الكلمات - أتبعها - في ثبت مستقل - بمعانيها ، أو اقترب من حقيقة وصفها ، كما كان يفعل الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري - عليه رحمة الله - في شرح ما استعجم من ألفاظ ديوانه ، ليعرب المدلول لمن عز عليه فهمها من قريب .

٢ - استخدم كلمات لها خصوصية عراقية ، وإن كانت مفهومة ولها مرادف عند أبناء الأقاليم الأخرى من العرب ، مثل « غداراتهم ص ٢٧ » ومفردها غدارة وهي آلة لإطلاق القذائف بين المسدس والبنديقية (محدثة) كما قال المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٤٥ . و « الشاي العميق ص ٤٢ » ويقول عنه إخواننا المصريون « الثقيل » و « النفاضة الصغيرة ص ٤٤ » ويقصد منضدة صغيرة يوضع عليها أكواب الشاي ، والنفاضة بفتح النون رعدة الحمى ، وبضمها الجذب ، وما يسقط ممن تصيبه الحمى ، وما

يتبقى في القم من السواك ونحوه فيلفظ (الوسيط ج٢ ص١٩٤) وكما هو ملحوظ لا علاقة بين المعنى المعجمي ودلالة اللفظ الحالية ، وإن كانت دارجة شعبياً .

وقال أيضاً : « نجح في الوزاري بدرجات متواضعة ص٦٧ » وهو غير امتحانات المدارس على ما يبدو ، ويكون غالباً أكثر نزاهة منها ، وله تقديره بين الناس أكثر منها ، ويشبهه في الأردن « امتحان الشامل » لطلبة كليات المجتمع ، أو التوجيهي الحكومي - وهو غير الذي تجريه المدارس لطلابها .

وقال أيضاً : « بالمطرقة تنزل (كناقوط) الماء على رأسه ص١٢٧ » ولعله يقصد صنبور الماء ، أو ما يجعل الماء ينزل نقطة نقطة .

٣- استخدم كلمات ليست عربية ، فإذا تجاوزنا عن كلمة « الكريستان ص٥٥ » كنوع من أنواع القماش ، وقد يكون مستورداً ، وتجاوزنا عن كلمة « بورجوازية ص١٧٠ » على اعتبار أنها كلمة دارجة على ألسنة الشيوعيين ، يلوكونها في كل مناسبة ، ولها في الرواية ما يبررها ، حيث إنها وردت على لسان يونس سعيد الشيوعي ، لكننا قد لا نفعل ذلك مع كلمة « الدراما ص١٢٤ » وكلمة « بانوراما ص١٤٨ » حيث لا مبرر لهما ، وجرتا على لسان المؤلف وقلمه ، لا على لسان أحد شخوص الرواية فنتجاوز عنهما .

وصحيح أن الكلمتين ليس لهما كلمتان عربيتان تقابلهما وترادفهما ، والأمر يحتاج إلى شرح مطول ، لكن الأمر ليس صعباً في إيجاد تعبير مختصر يسد مسدها ، فكلمة Panorama تعني « مشهد دائم التغيير » وكلمة Drama تعني « أحداث عنيفة متضاربة » . والدكتور عماد الدين خليل من الأساتذة الذين ينتظر منهم إيجاد البديل العربي وتأصيله ، بدلاً من استسهال

استخدام اللفظة الأجنبية في أدب عربي اللغة ، إسلامي التصور ، وهذه نقطة عتاب ليس إلا .

٤- وفي الأسلوب نجد بعض الحوادث كتبت على الطريقة الغربية - خصوصاً الإنجليزية - فاللغة العربية لا تقدم المقول على القائل ، ولكن الدكتور عماد استخدم هذا الأسلوب ، مثل :

(- هل آتيك بلحاف ؟)

نادت زوجته من الحوش ص٥٥)

(- ولكن أية حياة هذه التي تجعلنا نخاف ؟)

تساءلت سلمى ص٩٤)

(- هكذا !!)

قال عبد الرحمن وهو ينصت باهتمام ص٩٩)

٥- أما المعجم اللغوي للدكتور عماد فغني بالمفردات ، مما يدل على سعة اطلاعه ، وإن كان القاري يستطيع أن يلمس بعض المفردات التي يكررها المؤلف كثيراً ، مثل : « لكي ما يلبث » فقد كررها قرابة ثلاثين مرة ، ومثلها « لكي » و « ما يلبث » و « بهظ » واشتقاقاتها ، و « لأيماء » .

والملاحظات التي ذكرتها من باب العتاب ، لا تقصد الأخطاء ، وهذا لا ينقص من قدر لغة الكاتب أو روايته ، ولكنني أنظر إليه كرائد من رواد الأدب الإسلامي في العصر الحديث ، الذين يُنتظر منهم تأصيل هذا الأدب ، والعودة بالناس للأصالة في اللغة بعدما كاد الحداثيون إخراج الناس والأدباء إلى فضاء التيه والضياع ، بتحطيم اللغة وقواعدها واستخدامات ألفاظها تحت وطأة الإعلام المسيطر ، ولغة الصحافة الركيكة .

المنحى الإسلامي :

نستطيع القول : إن الرواية التي نحن بصدد دراستها رواية إسلامية خالصة ، في تصوراتها ، وطروحاتها ،

ومعالجتها من خلال ملاحظة الأمور التالية :

١- الجو الرمضاني وما يشيعه في النفوس من طمأنينة وراحة ، وما يلبسه من تقوى وورع ، وما يعايشه الناس من صلاة ، وصيام ، وتراويح ، واستغفار ، وقراءة القرآن ، وإطعام الطعام . . . وسأكتفي بالإشارة إلى فقرة واحدة من فقرات عدة توزعت على امتداد الرواية ، « وقال في نفسه - المقصود هنا هو عبد الرحمن الشيخ داود والد سلمى - : حقاً للصائم فرحتان ، وهذه واحدة - ويقصد تناول الإفطار عند الغروب - فكيف بالأخرى ؟ » وقال : « إنني أعشق هذه الساعة التي تسبق الإفطار ، إنها تحقق الصلح والوفاق بين ما يعتبره الناس نقيضين ، شهوة المعدة وأشواق الروح ص ١٦ » .

٢- خطبة الجمعة ودورها في حياة المجتمع ، ودور الخطيب الناجح الواعي الموفق في استقطاب عقول الناس وقلوبهم ، بما يمدهم من طاقات روحية ، وأفكار إسلامية ، ووعي سياسي ، مما يجعل الناس يتقاطرون على مسجده ، ويحرصون على سماع خطبه ، حتى تضيق بهم ساحات المسجد ، فيفترشون الخلاء والساحات الجانبية والشوارع الفرعية ، ويقصده الرجال والنساء على السواء » (انظر ص ٢٨ ، ص ٣٨ ، ص ٣٩) .

٣- العبارات الإسلامية التي تنبثق من الكاتب دون افتعال ولا تقصّد ، وإنما تخرج منه تلقائية كما يفوح الأريج من الورد النضرة .

٤- وأهم مما سبق ، ميلاد الشعور الإسلامي وغوه عند الناس ، وتشكيل بدايات الصحوة الإسلامية ، فعندما يقع الصراع في نفس سلمى بين حبها لخطيبها عاصم ، وحبها لدينها ومدينتها وتمنيها لو أن عاصماً كان مثلها مهتماً بأمر الدين الذي يصارع أبناء الموصل من أجله في وجه الشيوعيين ، نقول كما قال المؤلف :

« لا تصل الحب بالقضية ص ٢٣ » .

ورفض سلمى البقاء في المنزل ، وإصرارها على الذهاب مع أبيها لصلاة الجمعة في جامع الشيخ عجيل ، خلف الشيخ هاشم عبد السلام ، وهناك تجد نسوة كثيرات قد سبقنها للصلاة ، مما يمنحها « قيمة كبيرة تليق بها كأمراة تنتمي لسلالة طويلة عريقة من النسوة اللواتي قارعن بكلمات الله مكائد الشيطان ، وجابهن بسلح الإيمان أضاليل الكفر والتفكك والرذيلة ، وها هي ذي الفرصة قد حانت لكي تحصل على هويتها ، وتنطلق في الطريق (الطويلة) إلى (غايتها) . . . لقد علمها هاشم عبد السلام قبل يوم واحد أنها ليست بأقل من الرجال ، وأنه ليس بالخبز ، ولا بالحب وحده يحيا الإنسان ص ٩٦ » .

وتحول الشعب بجميع فئاته إلى التلاحم في مواجهة الإلحاد ، وتناغم الشيوخ (العلماء بالدين) مع العسكريين - وهذه صورة فريدة عزت في بلاد المسلمين منذ زمن بعيد - للتصدي لهذه الموجة الإلحادية ، يدل على غمور الشعور الإيماني عند الناس ، فمن كان إيمانه مستيقظاً أيقظ شعور من كان إيمانه مخدراً محايداً مقتصرأ على طقوس فرغت من مضامينها ، فنجد « أبناء البلد المؤمنين سيقفون جميعاً غداً ، أو بعد غد مدافعين عن إيمانهم . . . شباباً ورجالاً ونساءً وشيوخاً ، وسيقف الضباط في المقدمة ، واضعين أرواحهم على أكفهم بمواجهة رعب الشيوعية وطغيان الزعيم ص ١٠٤ » .

وكان هذا الشعور المتنامي لدى الناس بضرورة التصدي للإلحاد ، والذي جاء يستأصل دينهم ، ويحتاج أعراضهم ، وينثر على رؤوسهم الفساد والانحلال ، والعار ، سبباً في إيقاظ الشباب من غفوتهم ، فتركوا ملذاتهم التي يزينها لهم شرخ الشباب ، ليركضوا إلى حظيرة الله ، مؤمنين مصليين مجاهدين ، فامتألت بهم

منحى إسلامي واضح في الرواية يعكس اتجاه مؤلفها وتمسكه بهويته

لعلت أم السائب (رضي الله عنها) الحُمَيَّ ، نهاها رسول الله (ﷺ) عن ذلك . والأرق من هذه الأمراض المكفرات للذنوب .

الأفكار :

في رواية « الإعصار والمثذنة » طرح الدكتور عماد الدين خليل عدة أفكار تستحق الوقوف عندها ، ولأنها تتعلق بالأحداث المتزامنة مع الرواية ، وقد تمتد إلى الماضي أو إلى المستقبل رأينا أن نعرض لبعضها ، وسنقتصر على أهمها :

أولاً : الحركات المشبوهة في العالم كثيرة ، وبعضها يتخذ أسماء وشعارات براققة ، توحى بالبراءة مثل « أنصار السلام » « الحرية والإخاء والمساواة » وغيرها ، وقد يندفع بها فئة من الناس ، وقد يكون من المخدوعين نفر من العلماء بالدين !! وهذه الحركات يحكم عليها من خلال نصوص الإسلام وروحه ، فإن رفضها الإسلام فهي حركة مرفوضة ، وإن انضوى تحت جناحها ألف عالم وعالم ، وهذا ما عبرت عنه الرواية عندما احتج حنا جرجيس النصراني الشيوعي لصديقه اللدود الشيخ هاشم عبد السلام رجل الموصل وعالمها وخطيبها بأن في حركة أنصار السلام الشيوعية عدداً من العلماء بالدين الإسلامي ، فرد عليه الشيخ هاشم وأفهمه : « هم كبعض قسكهم الذين دخلوا كوادح حزب ملحد لا يؤمنون بكلمة واحدة مما تقوله الأناجيل ص ٤٥ - ٤٦ » .

ثانياً : الملاحظ أن أعداء الإسلام مهما اختلفوا فيما بينهم يتعاونون ويتكاتفون ضد الإسلام ، ويعتبرونه عدواً

ساحات المساجد والشوارع ، ومعهم أسلحتهم ، فكانت بداية الصحو « وتمنى هاشم عبد السلام - لو تطول وقفته أكثر معهم ، مع هؤلاء الشباب الذين لم تتجاوز أعمارهم التاسعة عشرة والعشرين ، ومع ذلك فإن الحياة لم تعد تقدر على أن تأسرهم - إنهم استطاعوا بقوة الإيمان ، وبالقدرة في الرد على التحدي ، أن يتجاوزوا إغراءها ، وهم الآن ربما يقفون على حافة الموت ، ولكنهم لا يفكرون إلا بشيء واحد ، الوقوف صامدين بوجه الإلحاد والطغيان ص ١٢٣ » .

ورغم هذه اللقطات اليسيرة التي اجتزأناها لندلل على إسلامية الرواية في العبارات ، والتصورات ، والجو العام ، فإنني وجدت شيئين يسيرين جرحا هذا التصور الإسلامي لا بد من التنبيه عليهما ، لأنهما من ضغط المجتمع ، ومن التكرار الذي يُعزف به على أذاننا ليل نهار حتى ألفناه فلم نعد نتوقف عنده كثيراً .

الأول : قال المؤلف عن الشيخ هاشم عبد السلام : « قبل يومين فقط ، أتيح له أن يلتقي صدفة بأحد معارفه القدامى حنا جرجيس في مطبعة جريدة الأنوار ص ٤١ » وتعبير « صدفة » لا يقره التصور الإسلامي ، فالمسلم يؤمن إيماناً قاطعاً أن كل ما في الكون يقع بقدر الله ، وبإمكان المسلمين استعمال تعبير آخر غير كلمة « صدفة » مثل « على غير اتفاق » أو « دون توقع » وما شابه من عبارات .

الثاني : أن عبد الرحمن الشيخ داود ، والد سلمى ، الرجل المؤمن يقول : « حاولت أن أغفو قليلاً فلم أستطع ، لعن الله الأرق ، إنه يكاد يقتلني بالصداع ص ١٦٣ »

واللعن من المسلم خارج نطاق التصور الإسلامي ، فالمسلم ليس لعناً ، وما يصيب المؤمن من هذه المنغصات كفارات لذنوبه ، كما وردت بذلك الأحاديث ، وعندما

عكس العمل شعوراً متنامياً بمحاربة الإلحاد والتمسك بالإسلام

مشتركاً يجب القضاء عليه ، وفي أحداث الرواية يتعاون حنا جرجيس النصراني مع الشيوعيين ، وينضم إلى إحدى مؤسساتها « حركة أنصار السلام » ويوظف الكنائس والأديرة لخدمة الشيوعية ما دامت ستقضي على العدو المشترك « الإسلام » ص ٤٧ ، ص ١٩٨ .

ثالثاً : والشيوعية حرب على الأغنياء ، وتعتبرهم طبقة متميزة نالت ما نالت بغير حق ، ولذا فهي تقوي طبقة العمال والفلاحين عليهم ، وتشحنها ضدهم ، فإذا ما حقق الشيوعيون انتصاراً سحقوا طبقة الأغنياء .

والمفروض - بناءً على هذه الحقيقة - أن يحارب الأغنياء الشيوعية ، لكن تعلقهم بالدنيا ، وحبهم للمال جعلهم جبناً ، يفضلون عدم اتخاذ موقف محدد ، بل ربما مدوا يد المساعدة للشيوعيين تحسباً للمستقبل ، وحفظاً لخط الرجعة ، وهذا التميع في الموقف سمة للجبناء الضعفاء ، سواء أكانوا فقراء أو أغنياء ، وهذا ما حدث من بعض أغنياء الموصل كما سجلت الرواية ص ٦٠ .

رابعاً : المسلمون ثلاث فئات : فئة مؤمنة ، منفعة ومتفاعلة مع دينها التزاماً وتطبيقاً ودعوة ، وهذه أعلى الثلاث . وفئة الإسلام عندها وراثته ، فهي تراول شعائر العبادة من باب التعود فقط ، وهذه الفئة ليست ملتزمة بالإسلام تمام الالتزام ، والفئة الثالثة ، التي انفصلت عن الإسلام تماماً ، لا صلاة ، ولا صيام ، ولا زكاة ، ولا أي شيء من أمور العبادة بله التصور والمعتقد وهذه الفئة أسوأ الثلاث .

والفئتان الأولى والثانية لا تقبلان الاستهزاء بالدين أو

القرآن أو النبي (ﷺ) وتثوران لذلك على درجات في الثورة . لكن الأعداء يعتبرون الفئة الثالثة المنبئة عن الإسلام أيسر هذه الفئات ، ويمكن الطعن في الإسلام أمام أفرادها دون حرج ، لكن الشواهد خيبت ظن هؤلاء الأعداء ، فكم من مسلم عاص تأخذه الحمية ، ويتفض انتفاضة الملسوع ، ويهب يدافع عن الدين إذا رأى أعداء الإسلام ينتقصون منه . وهذا ما لا حظناه من عاصم الدباغ الشاب الغني المرفه ، الذي لا يصلي ولا يصوم ، فلما أحس أن يونس سعيد صديق طفولته ، والذي أصبح شيوعياً ينتقص شعيرة من شعائر الإسلام وهي صلاة الجمعة انتفض عاصم انتفاضة جعلت يونس سعيد يتراجع .

خامساً : الغالبية من الناس - يفرحها الإحسان ، ويسوؤها الأذى ، لكنها ليست على استعداد لمحاربة مسبب الأذى ، أو فاعل المنكر ، وهذه سلبية طالما أوردت الناس موارد التهلكة ، وأضررت بالمجتمع ، فما معنى أن تغلق النساء النوافذ بعدما رأوا جثة سلمى تسحل في الشوارع وقد تهتك ثوبها ، واكتفين بالتوجع !! ص ١٩١ - ١٩٢ .

وهذه الفئة من الناس لا ينبغي أن يعول عليها في أي تخطيط ، ولا يركن إليها عند أية ملمة .

سادساً : الناس في الموصل كانوا ثلاث طبقات ، طبقة المؤمنين بدينهم وقضيتهم ، وطبقة ملحدة تستتر تحت شعار « أنصار السلام » تريد تقويض الإسلام ، وهدم المساجد ، وانتهاك الأعراض ، متكئين على تأييد الزعيم . أما الطبقة الثالثة فهم الناس العاديون - ومنهم السليبيون ، والانتهازيون ، والصامتون ، وحزب الرغيف ، والمتفرجون . . . وما يميز الانتهازيين عن غيرهم من فئات الطبقة الثالثة أنهم ينتظرون ، حتى إذا مالت كفة أحد

في موقفه من التعذيب والموت ، قال سعيد بن عامر :
شهدت مصرع خبيب ، وقد بضعت قريش لحمه - أي
شقته وقطعته وأجرت دمه - ثم حملوه على جذعة فقالوا
أحب أن محمداً مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أني في
أهلي وولدي وأن محمداً شيك بشوكة . [صفة الصفوة
ج ١ ص ٦٢٢] .

ثامناً : كثرة استخدام الشيوعيين والوصوليين لشعارات
جوفاء « للمزايدة وجني المكاسب ، وهذه المواقف تثير
السخرية منهم ، حتى هم أنفسهم يسخرون من بعضهم
البعض إذا سمعوا أحداً منهم يرددها أو يستشهد بها ، كما
فعل حنا جرجيس عندما سمع الهتاف من يونس سعيد
« من أجل الجمهورية والزعيم تهون الأرواح ص ١٥٦ » .

تاسعاً : في لحظات النصر - والهزيمة أيضاً - تتعري
النفوس تماماً فتكشف عن حقيقتها ، فالنفوس السامية
تظل في سموها وشموخها مهما كانت النتائج ، والنفوس
الوضيعة تكون أكثر وضاعة وحقارة في لحظات النصر -
والهزيمة أيضاً - وما فعله الشيوعيون في الموصل بعد
القضاء على حركة الشواف يكشف عن حقارتهم
ووضاعتهم ويترجم عن الحقد الأسود الكامن في
نفوسهم .

وبعد ، فهذه هي رواية « الإعصار والمثذنة » للدكتور
عماد الدين خليل ، رواية إسلامية رائعة ، سجلت إحدى
مآسي المسلمين في العصر الحديث . فهل تراني وفيتها
حقها من النقد الموضوعي المحايد ؟ وهل تراني قربتها
للقرء ؟ وهل تراني نجحت في إثارة حماسهم لقراءتها
والاستمتاع بها ؟ أمل أن أكون كذلك .

الخصمين ، سارعوا ، فأيدوا ، وصفقوا ، وشاركوا في
ذبح الآخر ، فكان موقفهم هذا دليلاً على الخسة والندالة ،
حيث تحقيق الأرباح بأقل خسائر ممكنة أو تضحية ما .

سابعاً : أي نحلة أرضية لا تعد منتسبها إلا بجنة أرضية
موهومة ، ولذا يعملون بجد طالما اقترب الحلم منهم ، فإذا
رأوه قد تباعد أو انتكس سرعان ما ينهارون ويحبطون ،
ومن ثم يتخلون عن كل ماضيهم وممارساتهم ، ويندمون
في أنفسهم ، وقد يتبرأون من نحلتهم .

أما الإسلام فجنته هناك ، وسواء تحقق الحلم في
حياتهم وعلى أرضهم أو لم يتحقق ، فالمطلوب منهم
الجهاد والمجاهدة ليس إلا ، أما الثواب فقد لا ينالونه في
الدنيا ، لكنه مدخر لهم في الآخرة ، ولذا إذا أصابهم
ابتلاء صبروا واحتسبوا ، واثقين بوعد الله ، وسنته في
الابتلاء .

من أجل ذلك نجد الشيوعيين زبقتين في مواقفهم !!
فهم مسعورون إذا لاح لهم النصر ، فوارون إذا بعد النصر
عنهم ، وجاءهم الخوف من كل جانب ، فهذا يونس سعيد
وهو مقبوض عليه في طريقه إلى السجن يقول في نفسه ،
وقد اختلجت عيناه ، « وهو يديرهما ذات اليمين وذات
الشمال ، متفرساً في وجوه رفاقه ، لكي يتأكد منهم ،
كان يعرف بعضهم جيداً ، وكان يجهل البعض الآخر ،
وقال في ذات نفسه كما يؤنب تلميذاً عاقاً : أكان يجب أن
أشترك في مظاهرة اليوم ؟ ص ١١٧ » . أما حنا جرجيس
النصراني المتشيع فينكر أنه مع الشيوعيين أو منهم ، أو
حتى أنه من أنصار السلام ، ويدعي أنه أرغم على حضور
مؤتمر أنصار السلام في دير ماركوركيص ص ١١٠ . أين
هذان وأمثالهما من خبيب بن عدي (رضي الله عنه) وهو